## الرسالة

(كولوسي ٣: ٤–١١)

يا إخوةُ متى ظهر المسيحُ الذي هو حياتُنا فأنتم أيضاً تظهرون حينئذٍ معه في المجد* فأَمِيتوا أعضاءَكم التي على الأرضِ الزِنى والنجاسةَ والهوى والشهوةَ الرديئةَ والطمعَ الذي هو عبادةُ وثَنٍ* لأنَّه لأجلِ هذه يأتي غضبُ اللهِ على أبناءِ العصيان* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتم حيناً إذ كنتم عائشينَ فيها* أما الآنَ فأنتم أيضاً اطرَحوا الكلَّ الغضبَ والسُخْطَ والخُبْثَ والتجديفَ والكلامَ القبيحَ من أفواهِكم* ولا يكذِبْ بعضُكم بعضاً بل اخلَعوا الإنسانَ العتيقَ مع أعماله* والبَسوا الإنسانَ الجديدَ الذي يتجدَّدُ للمعرفةِ على صورةِ خالقه* حيث ليس يونانيٌّ ولا يهوديٌّ لا خِتانٌ ولا قَلَفٌ لا بربريٌّ ولا إسكيثيٌّ لا عبدٌ ولا حرٌّ بل

## ظهور الله في حياتنا

يرتبط سرّ التّدبير الإلهيّ بشكلٍ أساس بظهور الله للإنسان. والظهور الإلهيّ إغناءٌ مستمرٌّ للخليقة بنعمة الله ومشاركة للإنسان المخلوق في الحياة الإلهيّة وللخليقة بأسرها في الصلاح الإلهي. الله يَخرُج إلينا بواسطة النعمة الإلهيّة، أمّا نحن فنقبل العطية الإلهية ونتلقى النعمة من خلال الأسرار في الكنيسة. وفي هذه العلاقة بين الله والكنيسة إغناء روحي وأخلاقي لوجودنا على الأرض الذي يصبح مجالاً لحضور ملكوت السموات فينا.

عندما نتكلّم على إغناء الإنسانيّة واشتراكها في الصّلاح الإلهيّ نعني قوّة الحياة الإلهيّة وتفعيلها في الإنسان. وهذا الأمرُ يختصّ بعلاقةٍ، حيث الإله غيرُ المخلوق يَهَبُ ذاته، والكائنُ المخلوقُ يتلقَّى الصّلاحَ الإلهيَّ. هذه هي العلاقةُ السّرّيّةُ لله في العالم.

أسرار الكنيسة هي ظهور إلهي في حياتنا. هي علاقةُ إعطاءٍ وتَلَقٍّ. علاقة تقوم بشكل واضح وواقعيّ جدّا على فعل النعمة الإلهيّة التي تُغني وجودَ الخليقة. الأسرارُ من حيث هي انفتاح الإنسان على الله والخليقة تبدو في الكنيسة في أعمالٍ وخدمٍ وعباداتٍ تكمّل نموَّ أعضاءِ الجسدِ واشتراكَهم في الحياة الإلهيّة وفي المعرفة الإلهيّة.

لذا، فإن كلّ الأسرار ما هي إلا التعبير عن حياة الكنيسة في الرّوح القُدس. حضور الرّوح القدس الذي يربطنا بالإله الواحد المثلّث الأقانيم، وعملُ النّعمة في حياة الإنسان يميّزان الكنيسة عن أيّ مُؤسّسة أُخرى على الأرض. هذا، وتشدّد الكنيسة الأرثوذكسية على أن الكاهن لا يستطيع القيام بأي من الأسرار بمفرده، إذ لا يتمّ السّرّ إلّا بوجود الشّعب، وبكلمة «آمين» التي تعبّر عن جماعة المؤمنين ومشاركتهم الفاعلة في السر. وقد فَسَّرَ آباؤنا القديسون حياة الكنيسة بأنها معالجة وشفاء مستمرّان للخليقة من كل ما يفسدها، شفاءٌ لواقع الإنسانيّة المخلوق، لذلك تبقى البنية الأسراريّة لجسد الكنيسة بنية شفائية.

أمّا المعمودية فهي السّر الذي يجعل المؤمنين أعضاء في جسد المسيح. بولس الرّسول يعبّر عن تفسير الكنيسة الأولى لهذا السّرّ بأنّه ولادة جديدة في

**العدد ٣ / ٢٠١٧**

**الأحد ١٥ كانون الثاني**

**تذكار أبوينا البارّين**

**بولس الثيبي ويوحنا الكوخي**

**اللحن الخامس**

**إنجيل السَحَر الثامن**

موت المسيح وقيامته. والأسرار إجمالًا، ومنها المعموديّة، لا تنحصر بالشّخص المُعتمِد فقط بل تطال كلّ جسد المسيح. الأسرار تُعاش على امتداد حياة الرعية. وظيفة المعموديّة أنْ تُطعِّمَ العضو الجديد في كرمة المسيح.

يحلّل القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس في القرن الرابع عشر معنى المعموديّة وسائر أسرار الكنيسة، فيقول إنّ الأسرار بالنّسبة إليه هي «الحياة في المسيح». والمعموديّة هي الولادة في هذه الحياة. المرء يولَدُ أوّلاً ثمّ يَعبُرُ في سائر مراحل النّمو. فكما أنّ الجنين ينمو ويتقدّم هكذا يحصل في الولادة الإلهيّة.

مصدر قوّة الأسرار والنمو فيها ليس مشيئة الإنسان بل المشيئة الإلهيّة. أمّا الكمال الروحي فهو من ثمار النّعمة في الإنسان، ولكنّه يتوقف على فعل المشيئة البشريّة والتآزر بينها وبين الرّوح القدس، الرب المحيي، بحيث يتحقق شفاء الإنسان ونموّه وكماله.

السر ولادة في الحياة الإلهية «لتكون لهم حياة، ولتكون لهم بوفرة» (يوحنا ١٠: ١٠). تكون لهم حياة في المعمودية، وتكون بوفرة في خبرة التمجيد بنعمة الروح القدس، أي حين يتمجّد الإنسان بالنعمة فيصير نبيًّا من أنبياء العهد الجديد.

المعموديّة استعادةٌ للطّبيعة البشريّة وإصلاحٌ لها، مثل قيامة المسيح تمامًا. هي اشتراكٌ في قوّة قيامتِه، وعربونٌ وبدايةٌ للقيامة العامّة والحياة الأبدية. المعموديّة وسيلة يمنَحها اللهُ للإنسان، ولكنّ تفعيلَها يتوقّف على مشيئة الإنسان. اشتراك الإنسان في الملكوت والمجد الإلهيّين، في معاينة الله، في التّنقية والوجود المستديم مع المسيح هي أمور من اختصاص المشيئة البشريّة. لا سيما أن حدث المعموديّة ليس سحريّاً، ليست حالة جامدة بل ديناميّة. ولا تتّخذ المعموديّة أي معنى في حياة الإنسان من دون مسيرة الكمال الروحيّ. كلّ ما في الأسرار هو متجسّدٌ وحيٌّ. والإتمام الحقيقيّ للأسرار، كما الشّركة مع الله، لا يحصل إلاّ بالمحبّة والتّضحية والشّهادة.

يعطي القدّيس نيقولاوس كاباسيلاس وصفاً للإستعلان الوظائفيّ للأسرار، فيشدّد على أنّ وظائف الأسرار مرتبطة عضويّاً: «المعموديّة ولادةٌ وإعادةٌ لجبلة الإنسان. الميرون هو السّر الذي يُحرِّك الإنسان بفعل الرّوح القدس لتَحريك كمال الحياة في المسيح، والقُدَّاس يُغذّي أعضاء الجسد». هذا الوصف يشبه الوصف الفيزيولوجي الجسديّ، ولا أحد يستطيع أن يتحرّك أو يتغذّى إن لم يولَد أولاً في المعمودية. من هنا أهميّة ارتباط أسرار الإدخال الثلاثة: ولادة وحركة وغذاء، لأننا، بحسب الرسول بولس، «به نحيا ونتحرك ونوجَد» (أعمال ١٧: ٢٨).

ويبقى السّر الأكبر في حياة الكنيسة هو فعل إعادةِ الخَلقِ الذي حصل في الرب يسوع المسيح. لذا، ولغاية القرن الرّابع عشر، لا نجد في شرقنا المسيحي أي إشارة تَحُدّ الأسرار بالعدد سبعة. العدد سبعة دخل شرقَنا في القرن الرابع عشر، بتأثير من الحملات الصليبية. أمّا بالنسبة للّاهوت المشرقي فالسّرُّ واحدٌ، سرُّ التقوى الذي يتكلم عليه بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس «وبالإجماعِ عظيمٌ هو سرُّ التقوى. الله ظهر في الجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكةٍ، كُرِزَ به بين الأمم، أومِنَ به في العالم، رُفِعَ في المجد» (١ تيم ٣: ١٦). له المجد وحده إلى الدهر آمين.

المسيحُ هو كلُّ شيءٍ وفي الجميع.

## الإنجيل

(لوقا ١٧: ١٢–١٩)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ داخلٌ إلى قريةٍ استقبله عشرةُ رجالٍ بُرصٍ ووقفوا من بعيدٍ* ورفعوا أصواتَهم قائلين يا يسوعُ المعلّمُ ارحمنا. فلمَّا رآهم قال لهم امْضوا وأروا الكهنةَ أنفسكم. وفيما هم منطلِقون طَهُروا* وإنَّ واحداً منهم لمَّا رأى أنَّه قد بَرِئَ رجعَ يُمجّدُ اللهَ بصوتٍ عظيم* وخرَّ على وجهِهِ عند قدَمَيْهِ شاكراً له وكان سامريًّا* فأجاب يسوعُ وقال ألَيس العشرةُ قد طَهُروا فأين التِسعة* ألم يوجَدْ مَن يرجع ليمجّدَ اللهَ إلاَّ هذا الأجنبيَّ* وقال له قُم وامضِ. إيمانُكَ قد خلَّصكَ.

## تأمل

«اطرحوا الكل الغضب والكلام القبيح من أفواهكم».

علينا ألاّ نقول إنّ «ذاك أغضبني» أو «ذاك جعلني أتفوّه بكلماتٍ نابية». في الحالات كلّها نحن نتحمّل المسؤولية، لأنّنا لو أردنا أن نتفحّص الأمور بتبصُّر

وصدق، كنّا سنقبل بأنّه لا يستطيع أيّ عدوّ أن يغضبنا حتى الشيطان نفسه، وهذا أيضاً واضح في قصّة داود: حاول شاول أذيّته بإرساله ثلاثة آلاف رجل ليقتلوه. في منطقة صخور الوعول بالقرب من صِيَر الغنم، دخل الملك بمفرده إلى كهفٍ كبير ليرتاح، وهناك غلبه النوم. لكن في عمق الكهف، صودف وجود داود مع رفاقه. في ذلك الوقت كان باستطاعته قتل شاول النائم بسهولة، مع ذلك، ومع تحريضات رجاله، لم يُرِد الإساءة إلى عدوّه اللّدود. اقترب منه وحده بهدوء وقطع طرف جبّته من دون أن يشعر، فاستيقظ شاول بعد قليل ورحل. خرج داود وراءه من الكهف وصرخ: «يا سيدي الملك!»، فعاد شاول إلى الوراء، وحينئذ خرّ داود على وجهه وسجد له من بعيد وتابع: «لماذا تسمع لأولئك الذين يقولون لك إنّ داود يطلب حياتك؟ اليوم رأيت بعينيك أنّ الربّ قد أسلمك إلى يديَّ في الكهف! لكنّني لم أشأ قتلك، أشفقت عليك وفكّرتُ: لن أمدّ يدي على سيّدي، لأنّه مسيح الله هو. انظر القطعة من معطفك التي مسكتها بيديّ، أنا قطعتها...». قال داود لشاول هذا وأموراً

## الرهبنة

ارتبطت الرهبنة دومًا بالقدّيس أنطونيوس الكبير الذي يُعتبر أبا الرهبنة، وتعيّد له كنيستنا المقدّسة في السابع عشر من شهر كانون الثاني. عاش القدّيس أنطونيوس بين القرنين الثالث والرابع للميلاد. وقد كتب القدّيس أثناسيوس الكبير سيرة حياته التي يمكن اختصارها بالتالي: وُلد القدّيس أنطونيوس عام ٢٥٠ م. من والدين مسيحيّين في كوما الواقعة في وسط مصر. بعد وفاة والديه قام ببيع جميع ممتلكاته وأعطى الأموال للفقراء، وشرع بممارسة حياة الزهد في مكان غير بعيد عن بيته. بعد خمسة عشر عامًا، وقد بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، انتقل إلى ضفّة النيل اليمنى، إلى ما يُعرف بمنطقة «الجبال الخارجيّة»، وسكن مدة عشرين سنة في قلعة مهجورة. تجمّع حوله كثيرون بغية العيش على مثاله، ونشأت مجموعات رهبانيّة كبيرة، أهمّها تلك التي كانت في منطقة النطرون. وعلى الرغم من أنّ القدّيس أنطونيوس كان مرشد هؤلاء الرهبان، إلاّ أنّه ظل يعيش حياة الزهد. لقد عاش هو وأتباعه حياة الإنفراد. رقد في الربّ عام ٣٥٦ م. عن مئة وخمس سنوات.

بحسب القدّيس أثناسيوس، كان القدّيس أنطونيوس رجل «حكمة إلهيّة» ومملوءاً من «النعمة واللطف»، على الرغم من أنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة. وعندما كان البعض يعيّرونه بذلك كان يجيبهم: «حسنًا، ماذا تقولون، أيّهما جاء أولاً، العقل أم الحروف؟» وعندما كانوا يقبلون بأنّ العقل جاء أوّلاً ومنه أتت الحروف، كان القدّيس أنطونيوس يضيف: «لذلك، مَنْ عنده عقل راجح لا حاجة له إلى الحروف». ما يلاحظه كاتب السيرة أنّ «أنطونيوس اكتسب شهرته فقط بسبب خدمته لله وليس بسبب كتاباته أو حكمته الواسعة».

قد نتساءل: ما الفرق، في المسيحيّة، بين الرهبنة والحياة في العالم؟ هل الحياة الرهبانيّة تعطي ضمانة للخلاص أكثر من الحياة في العالم؟ هل هناك تمييز في عيني الله بين الراهب والمسيحيّ الآخر؟ وهل يفضّل اللهُ الأوّل على الأخير؟ وإذا لم يكن هناك تمييز فلماذا أُطلقت على الرهبنة تسمية «الحياة الملائكيّة»؟

إذا عدنا إلى تعاليم القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم، نراه يضفي على الحياة الرهبانيّة صورة مميّزة، ويعتبرها عودة للحياة الملائكيّة قبل السقوط، فعمل الراهب الرئيسيّ هو تسبيح الله وتمجيده. ليست هي هروبًا من العالم، بل تحقيق للعالم الحقيقي في قلب العالم. الرهبان هم جنود الخطّ الأماميّ في مواجهة الشيطان. إنّهم يشهدون لملكوت الله، لأنّهم صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات، وهم يتحمّلون اضطهاد الشياطين. كما يعتبر أن الرهبنة تسمو على الزواج لأن الراهب يسعى إلى حياة الفضيلة عائشا في البتوليّة والطاعة والفقر.

لكنّ القدّيس يوحنّا لا يفرّق بين الراهب والعلمانيّ على صعيد الهدف الذي يسعى إليه الإثنان، وهو الخلاص. فكلاهما سيقفان أمام الله وسيحاسَبان على حدّ سواء. وللراهب والعلمانيّ نموذج واحد لحياتهما هو يسوع المسيح. بالنسبة له ليس المكان هو الذي يخلّص الإنسان بل المسلكيّة هي التي تخلّصه. إذًا هناك طرق مختلفة للخلاص: الرهبنة، الزواج، الترمّل ... بناءً على ما تقدّم يتّضح لنا أنّ لا فرق بين الراهب والعلمانيّ على صعيد الغاية المرجوّة، أي الخلاص

من خلال الاتحاد بالمسيح في الجماعة أعني الكنيسة. وإذا تأمّلنا جيّدًا في طريقة حياة كلّ منهما نجدها متشابهة: يخرج الراهب من العالم ليدخل إلى عالم آخر هي الأخويّة الديريّة؛ يعمل ليعيش؛ يبتهل إلى الله ويشكره كلّ يوم؛ يساعد المحتاجين؛ يجتمع مع الإخوة للاشتراك بالإفخارستيّة؛ يصلّي من أجل الآخرين ... هذه كلّها يفعلها من يعيش في هذا العالم. وإذا احتجّ أحدهم بأنّ حياة الراهب قائمة على الصلاة المستمرّة، فلنتذكّر وصيّة الرسول بولس أن «صلّوا بلا انقطاع» (١تس٥: ١٧)، التي لم يوجّهها إلى الرهبان بل إلى مسيحيّي تسالونيك. من هنا فإنّ كلّ مسيحيّ يحيا الحياة في المسيح من موقعه كطبيب أو مهندس أو عامل أو معلّم أو طالب أو كاهن أو راهب ...

كذلك الطاعة ليست فضيلة تختصّ بالحياة الرهبانيّة، بل هي فضيلة مطلوبة من كلّ إنسانٍ مسيحيّ. فإذا كان المسيح يسوع هو نموذج الراهب والعلمانيّ، كما يقول القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم، والمطلوب هو الاقتداء بالمسيح، كما يقول القدّيس إغناطيوس الأنطاكي، فكيف يكون هذا الاقتداء بالمسيح وكيف يكون الربّ يسوع نموذجًا لنا؟ نحن نقتدي بالمسيح بطاعتنا لله الآب كما أطاع هو أباه السماويّ. وتطول الأمثلة التي تبيّن لنا عدم وجود فرق بين ما هو مطلوب من الراهب وما هو مطلوب من العلمانيّ.

لماذا تُعطى الرهبنة مزايا تفوق تلك التي للحياة في هذا العالم؟ ولماذا سُمّيت «الحياة الملائكيّة»؟

ميزة الحياة الرهبانيّة هي أنّ الراهب يدفع بحياته في المسيح إلى حدّها الأقصى. إنه يسعى إلى العيش في الطاعة الكلّية للمسيح في كلّ لحظة من لحظات حياته، وهو يسعى إلى الهذيذ بالله كلّ حين، ويسعى إلى اقتناء المحبّة التي هي على مثال محبّة الربّ يسوع الذي بذل نفسه من أجل خلاصنا ... الدير إذّاك يكون المكان المثاليّ الذي يحفظ مسيرة الرّاهب هذه، حيث يشترك الرهبان جميعًا في تحقيق حياة الملكوت، في حين أنّ من يحيا في هذا العالم تواجهه عوائق شتّى في محاولته الحياة في الطاعة والمحبّة والصلاة.

خلاصة القول إنّه إذا كانت حياة الراهب هي حياة الكمال، وإذا كان الربّ قد دعانا أن نكون كاملين (مت٥: ٤٨)، فإنّ كلّ إنسان مسيحيّ مدعوّ أن يحيا حياة الراهب، أي إنّ كل إنسان مسيحيّ هو راهب.

## عيد القديس أنطونيوس

بمناسبة عيد أبينا البار أنطونيوس الكبير المتوشح بالله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ١٦ كانون الثاني وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ١٧ كانون الثاني في كنيسة أبوينا البارّين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**

أخرى كما تعرفون. وماذا أجاب شاول؟ «أهذا صوتك يا ابني داود؟» وانفجر باكياً (١ صم ٢٤: ١-١٧).

أيّ تغييرٍ حدث في نفس الملك الغاضب من أقوال داود، الأقوال المُفعمة بحُسن النيّة والتواضع والاحترام والطيبة! هكذا ذاك الذي كان قبلًا لا يحتمل سماع اسم داود، شعر نحوه الآن بمحبّةٍ أبويّة ودعاه ابنه. اختفت العداوة من قلبه لكي يحلّ مكانها الودّ والعطف بشكل غير متوقّع. عظيم هو داود حقاً! جعل القاتل أباً حنوناً، وحوّل الذئب إلى حملٍ، وأطفأ أتّون الغضب بندى المحبّة.

لننتبه إذاً، ليس فقط ألاّ يصيبنا من أعدائنا أيّ سوء، بل ألا نسبّب نحن الأذى لهم، حينئذٍ سيباركنا الربّ ويحمينا كما حمى داود عندما أصبحت حياته في خطر، وسنصبح أرفع من أعدائنا وأكثر حكمةً منهم، أكثر وقاراً وكرامة، ومحبوبين من الجميع، من الناس والله.

القديس يوحنا الذهبي الفم